

مادة: علم اللغة

عنوان المحاضرة (علم اللغة)

أ.م.د. علي سعد لطيف العُبودي

كلية التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية

هو العلم الذي يبحث في اللغة، ويتخذها موضوعاً له، فيدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية، والمقارنة، كما يدرس العلاقات بين اللغات المختلفة أو التي تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة.

وموضوع علم اللغة: هو كل النشاط للإنسان في الماضي والحاضر، يستوي في هذا الإنساني البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحة أو لحن، أو جودة أو رداءة، أو غير ذلك.

واللغة التي يبحث فيها هذا العلم، ليست هي اللغة العربية أو الإنجليزية أو الألمانية، وإنما هي اللغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها، هي "اللغة" التي تظهر وتحقق، في أشكال لغات أخرى كثيرة ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور "الكلام" الإنساني، فمع أن اللغة العربية، تختلف عن الإنجليزية، وهذه تختلف عن الألمانية، فإن هناك أصولاً وخصائص جوهرية، تجمع ما بين هذه اللغات، كما تجمع بينها وبين سائر اللغات، وصور الكلام الإنساني، وهو أن كلا منها لغة، أو نظام اجتماعي معين، تتكلمه جماعة معينة، بعد أن تتلقاه عن المجتمع، وتحقق به وظائف معينة، ينتقل من جيل إلى جيل، فيمر بأطوار من التطور، متأثراً في ذلك بسائر النظم الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والدينية وغير ذلك، فاللغة عند (دي سوسير): نظام ذهني يتم بموجبه ربط العناصر اللغوية، سواء على المستوى الفونولوجي أو الصرفي أو النحوي.

وهكذا نرى أن علم اللغة، يستقي مادته من النظر في اللغات على اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص، التي تجمع اللغات الإنسانية كلها، في إطار واحد.

الهدف من علم اللغة

1. وصف ما وصل إلينا من اللغات البشرية، والتأريخ لها، وتقسيم اللغات إلى فصائل وعائلات، وإعادة صوغ اللغات الأم، لكل هذه الفصائل، على قدر الإمكان.

2. إيضاح عوامل انتشار اللغات وموتها.
3. اكتشاف القوانين العامة، التي تفسر الظواهر اللغوية الخاصة بكل لغة. و إيضاح عوامل التجديد اللغوي.
4. البحث في نشأة اللغة الإنسانية. وقد ظهرت في ذلك عدة نظريات مختلفة، تحاول أن تفسر لنا، كيف تكلم الإنسان الأول هذه اللغة، التي تطورت على مر الأزمان، حتى وصلت إلينا في صورها المختلفة الراهنة.
5. علاقة اللغة بالمجتمع الإنساني والنفس البشرية. وهنا يتنازع علم اللغة علما آخران، هما: علم الاجتماع، وعلم النفس، فهناك بحوث ترمي إلى بيان العلاقة بين اللغة والإنسان في حياته الاجتماعية.
6. إيضاح الجوانب الحضارية المختلفة التي تؤثر في حياة اللغة.
7. الوقوف على الوظائف التي تؤديها في مختلف مظاهرها في المجتمعات الإنسانية .
8. البحث في صراع اللغات، وانقسامها إلى لهجات، وصراع اللهجات بعضها مع بعض، وتكون اللغات المشتركة، وغير ذلك من الأمور.
9. الوقوف على حقيقة الظواهر من خلال البحث في حياة اللغة، والعناصر التي تتألف منها والأسس القائمة عليها، وتطورها في نواحي: الأصوات، والبنية، والدلالة، والتركيب وغير ذلك
10. دراسة حياة الكلمة عبر العصور اللغوية المختلفة، وما ينتابها من تغير في الصوت والدلالة، وما يطرأ عليها من أسباب الرقي والانحطاط، وعوامل البلي والاندثار.

مناهج البحث اللغوي

أولاً: المنهج الوصفي:

يقوم هذا المنهج على أساس وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة، من النواحي: الصوتية، والصرفية، والدلالية، والتركييبية.... ويقتصر على الوصف للظاهرة اللغوية التي يدرستها، أي تسجيل ما هو كائن بالفعل لا ما ينبغي أن يكون. وقد بدأت بوادر هذا المنهج في نهاية القرن التاسع عشر ونمت في بداية القرن العشرين حتى تبلورت مفاهيمه على يد اللغوي السويسري دي سوسير، وأصبح المنهج الوصفي والدراسة الوصفية هي المهيمنة على مسار الدراسات اللغوية في ذلك الوقت.

وقد تكون اللغات المدروسة في المنهج الوصفي لغات حية منطوقة، أو لغات مكتوبة، وهي التي ذهب أصحابها في العصور الأولى، وبقيت لغتهم مدونة مكتوبة، والعربية الفصحى لغة مكتوبة، وليست منطوقة؛ لأن نطق هؤلاء العرب الأوائل لم نسمعه.

قواعد المنهج الوصفي وأصوله في تراثنا اللغوي:

أ- اختيار عينة اللغة:

لابد أن تكون العينة الكلامية ممثلةً للغة أو لهجة تمثيلاً حقيقياً. ويشترط أن يختارها أناس أصحاب لغويا؛ ليس عندهم عيوب كلامية، لأن هذه العينة ستكون مقياساً بعد ذلك، كما يجب عليه أن يأخذ اللغة من أهل منطقة جغرافية محددة وهو ما يسمى عند العرب (الراوي) وهو الذي يمثل لغة بيئته ويؤخذ عنه أن لا يخالط العجم مخالطة تفسد لسانه وتغير سليقته اللغوية. ونرى أن علماء العربية الأوائل طبقوا ذلك حينما وصفوا العربية الفصحى؛ فأخذوا اللغة من مشافهتهم للأعراب وتركوا الحضر، فخرجوا إلى البوادي، فاختلفوا بهم في أمورهم العادية واليومية لكي يدونوا اللغة؛ لأن البدو كانوا أهل فصاحة، وكانت سليقتهم اللغوية سليمة لأنها لم تختلط بالعجم فلم يدخل اللحن لغتهم. لذلك وجدنا العلماء لا يأخذون عن كل القبائل في تعديد ووصف اللغة، فاستبعدوا القبائل التي كانت مجاورة للفرس والروم وغيرهم.

ومن ضبط العلماء العرب لمنهجهم أنهم كانوا يعتمدون على الكلام المنطوق المأخوذ عن الفصحاء مشافهة، كما حذروا من الاكتفاء بالكلام المكتوب؛ لأن المعالم

الصوتية للأداء في الكلام ستكون مخفية، وربما كان فيه تصحيف أو تحريف خطي فهو لا يمثل اللغة المنطوقة.

ب_ تحديد المستوى اللغوي:

يجب على الباحث تحديد المستوى اللغوي للغة التي يدرسها؛ فلغة الشعر مثلاً تختلف عن لغة النثر، كما أن للغة مستويات، وهذه المستويات اللغوية تتفاوت في كل لغة فهناك المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، وما يصدق على مستوى لغوي معين لا يصدق على مستوى آخر، فما يصدق على المستوى الصوتي لا يصدق على المستوى الصرفي، أو النحوي، أو الدلالي، وعليه يجب تحديد المستوى اللغوي المدروس.

كما يجب على الباحث أن يحدد الطبقة الاجتماعية التي سيصف لغتها؛ لأن هناك طبقات اجتماعية ومهنية متعددة داخل المجتمع، فرغم أنهم ينتمون إلى مجتمع واحد، لكن الطبقات مختلفة، والمهن مختلفة، والعادات مختلفة، هذه المهن وهذه العادات لها مصطلحات خاصة تستعمل في طبقتها، ولا تستعمل في طبقة أخرى، وعلى الباحث أن يحدد المستوى الطبقي للمتكلمين، ومن خلال المستوى الطبقي يستطيع أن يحدد المستوى اللهجي الذي يقوم بدراسته.

ج _ تحديد البيئة المكانية:

وهو أمرٌ لازم؛ لأن اللغة تختلف باختلاف الطبيعة الجغرافية، فساكن المناطق السهلية لهم لهجة، تختلف عن لهجة ساكن الصحارى والجبال، وساكن المناطق الساحلية لهجة تختلف في بعض مظاهرها عن لهجة أهل المناطق السهلية والجبلية. وقد أدرك علماء العربية هذه الحقيقة، فعرفوا أن العربية انقادت واستوت وتكاملت بالخصال التي اجتمعت في الجزيرة العربية؛ وتتبّه العلماء إلى طبيعة المكان وما يتسم به، وربطوا بينه وبين اللغة.

د _ التحديد الزمني:

يدرس الباحث اللغة في مرحلة من مراحلها؛ لأن لكل عصر لغته، واللغة دائماً في تغير مستمر بتغير العصور والأزمان، شأنها شأن الإنسان، فهي تتغير بتغير أصحابها ومجتمعها، وقد فطن علماء العربية للتحديد الزمني فجعلوا نهاية العصر الأموي زمناً للاستشهاد ولم يأخذوا بمن جاء بعد هذا التحديد الزمني.

ثانياً: المنهج التاريخي:

_ تعريف المنهج التاريخي:

هو تتبع تطور الظاهرة اللغوية من مرحلة تاريخية إلى مرحلة أخرى عبر الزمن، فيقوم الباحث بوصف المراحل التي مرت بها هذه اللغة، لأن كل لغة وليدة للتطور التاريخي الذي تمر به.

وميدان المنهج التاريخي يدور حول تطور اللغة الواحدة عبر القرون، فيدرس التطورات التي مرت بها من الناحية الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، ونتائج هذا المنهج تعتمد على معطيات المنهج الوصفي؛ لأن المنهج الوصفي يدرس اللغة في فترة زمنية محددة، فيقوم المنهج التاريخي بمتابعة الظاهرة وملاحظة تطورها عبر العصور، لكشف ملامح التطور والتغير، فالمنهج التاريخي مجموعة النتائج المتتابة على مر العصور للمنهج الوصفي.

الفرق بين المنهج التاريخي والمنهج الوصفي:

أ _ **الوظيفة:** المنهج الوصفي لا يتجاوز الوصف، أي التشخيص للحالة اللغوية دون تدخل من الباحث؛ أما المنهج التاريخي فيعتمد على ملاحظة التطور ومتابعة التغير، مع إظهار العلل والأسباب التي أدت إلى هذا التطور والتغير.

ب _ **المعالجة:** المنهج الوصفي يدرس اللغة دراسة أفقية في فترة زمنية معينة، فهناك تحديد للزمن والمكان، أما المنهج التاريخي فهو يدرس اللغة دراسة رأسية على مستوى عصرين فأكثر، حتى يتابع مظاهر التطور، فالمنهج التاريخي يعتمد على المكتوب، بعكس المنهج الوصفي الذي يعتمد في الغالب على اللغات الحية المنطوقة.

ج _ **ميدان الدراسة:** المنهج الوصفي يمتد في معالجته إلى المنطوق، فيمكن أن يقدم وصفاً للغة منطوقة حية أصحابها قائلون يستمع إليهم، ويمكن أن يقدم الباحث الوصفي وصفاً تفصيلياً للغة مكتوبة؛ إذن الدراسة الوصفية يصلح تطبيقها على الوثائق وعلى الدراسة الميدانية المنطوقة في آن واحد، فدراسة الوثائق أو اللغة المكتوبة في دراسة وصفية تعتمد على المصادر المكتوبة سواء كانت هذه المصادر مخطوطة أو مطبوعة.

أما المنهج التاريخي فيعكف على دراسة المكتوب، في محاولة لاستنباط ملامح التطور والتغير من خلال هذه النصوص المدونة على مر العصور، والوقوف على الأحداث التاريخية التي مرت بها اللغة، وما أدت إليه هذه الأحداث التاريخية من نتائج في الواقع اللغوي.

د _ **الطبيعة:** المنهج الوصفي (سكوني)؛ لأن مهمته تنحصر في وصف اللغة تفصيليا كما يراها في الواقع، أما المنهج التاريخي فيتسم بالحركة والتنقل والتتابع؛ لأنه ينتقل من عصر إلى عصر، وينتقل من بيئة إلى بيئة، والمنهج التاريخي يرصد التغيرات التي مرت بها اللغة في كل مستوياتها.

ثالثاً: المنهج المقارن:

يقوم المنهج المقارن على المقارنة بين لغتين أو أكثر بشرط انتماء هاتين اللغتين إلى أسرة لغوية واحدة، لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف، وتحديد صلات القرابة بين هذه اللغات موضع المقارنة.

ويهدف المنهج المقارن إلى تصنيف اللغات إلى أسر وفروع لغوية، ويقوم هذا التصنيف على أوجه التشابه في المستويات اللغوية الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية بين اللغات موضع التصنيف.

كما تهدف الدراسة المقارنة إلى التوصل إلى اللغة الأم لكل أسرة لغوية، وهى لغة من صنع الباحثين ولا وجود لها في الواقع، كما تهدف إلى تأصيل المواد اللغوية في المعاجم.

كانت المقارنة تجري بين اللغات بطريقة تاريخية، مثلما كان الحال في القرن التاسع عشر الذي ازدهرت فيه الدراسات المقارنة، فكشفت عن علاقات القرابة بين عدد منها، مثل: العربية والسريانية والحبشية والعبرية، واتضح أنها تنتمي إلى أسرة لغوية أخرى هي السامية.

إن المقارنة بين اللغات لا تعني بالضرورة اعتماد المنهج التاريخي، بل يمكن أن تجري على سنن المنهج الوصفي، ومقارنة لغة بأخرى شيء لا يمكن تجنبه، فحتى عامة الناس يقومون بذلك دون أن يقصدوا المقارنة، بيد أن المتعلم الذي يحاول اكتساب لغة غير لغته الأم دائم المقابلة بين الصيغ التي يتعرف عليها في اللغة الجديدة والصيغ البديلة أو النظيرة في لغته

رابعاً: المنهج التقابلي:

يعتبر المنهج التقابلي حديثاً بالمقارنة مع المناهج الأخرى في علم اللغة؛ فقد نشأ هذا المنهج خلال الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945م في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الحاجة الملحة آنذاك لتعلم وتعليم اللغات الأخرى كلغات ثانية أو لغات أجنبية حيث كانت جيوش الولايات المتحدة الأمريكية تقاوم على جبهات مختلفة في مناطق متعددة من العالم فأحس قادة تلك الجيوش وضباط المخابرات بالحاجة الماسة إلى فهم لغات الشعوب التي يقاتلون على أراضيها بل والتخاطب بها إن أمكن، ومن هنا نشأت الحاجة إلى تعلم وتعليم تلك اللغات من خلال تحليلها ومقارنتها باللغة الإنجليزية باتباع منهج التحليل التقابلي الذي أثبت جدواه وفاعليته. ويرى بعض الباحثين أن هذا المنهج كان سائداً قبل ذلك بكثير وأن إرهاباته بدأت في إنكلترا حينما شرع اللغويون بمقارنة الأنماط النحوية الإنجليزية مع تلك التي في اللغة اللاتينية.

يُعد هذا المنهج نمطاً من أنماط الموازنة، فهو منهج يقوم على المقابلة بين لغتين سواء منفصلتين مختلفتين أو من فصيلة، في مستويين لغويين، وليس شرطاً في هذه الموازنة أن تكون اللغات من بيئة واحدة أو من مستوى استخدامي واحد. وتتم المقابلة على المستويات الأربع: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، والمنهج التقابلي يعتمد أساساً على المنهج الوصفي، لأن المقابلة بين لغتين، تعتمد أساساً على المنهج الوصفي حيث يقدم وصفاً تفصيلياً لكل لغة على حدة بحسب المستويات، ثم بعد ذلك تعقد الموازنة.

كذلك أيضاً من أوجه المقابلة: الاقتباسات التي تتم بين اللغات، كاقتراسات اللغات الأوروبية من الكلمات العربية الدالة على منتجات زراعية أو صناعية، مثل: الليمون، الزعفران، الشراب، السكر، القطن، القهوة، والكمون... إلى آخره، فهذه الاقتباسات يقتبسونها فيقومون بالمقابلة بين هذه الألفاظ بعضها ببعض في اللغات المختلفة، وهناك ألفاظ أخرى تختلف من حيث تعميم أو تخصيص الدلالة بين اللغات، مثل: إطلاق كلمة (العم) في اللغة الإنجليزية على العم والخال بينما في العربية تطلق على العم فقط، ومثل ذلك في الفرنسية، لكن مع اختلاف في هيئة النطق والصيغة.

ـ أنواعه:

يقسم الباحثون الدراسات اللغوية التي اتخذت من التحليل التقابلي منهجاً إلى ثلاثة أقسام، وهي:

1 _ دراسات قائمة على منهج التحليل التقابلي الخالص، وتُعنَى بمقارنة لغتين أو أكثر لتسليط الضوء على نقاط التشابه والاختلاف بينها، وقد ظهرت جملة من الدراسات الرصينة المكرسة كلياً لهذا الغرض، فقورنت اللغة الإنجليزية بالعربية والفرنسية والروسية والصينية وبقية اللغات الأخرى، كما قورنت اللغات الأخرى باللغة الإنجليزية.

2 _ دراسات نتجت عن تحليل الأخطاء اللغوية الناجمة عن تعلم لغة ما أو الترجمة منها واليهما، وقد اهتم الباحثون في هذا الحقل بتتبع تلك الأخطاء ومحاولة الكشف عن أسبابها وطرق تلافيها، وبالطبع ما كان لهم أن يخوضوا في هذا الغمار ما لم يتخذوا من التحليل التقابلي منهجاً لهم.

ـ فوائد المنهج التقابلي في دراسة اللغة:

1. أسهم في تصنيف لغات العالم المختلفة إلى عائلات لغوية متعددة وذلك من خلال دراستها دراسة تقابلية مقارنة أظهرت بوضوح قواسمها المشتركة التي سهلت عملية فرزها وإدراجها تحت عائلات مختلفة.

2. تفسير مشكلة التداخل في مجال تعلم اللغات واكتسابها، واستعمال نتائجه لتطوير المواد والمناهج والطرق لتعليم اللغات، من خلال إبراز أوجه التشابه والاختلاف على المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى النحوي والمستوى الدلالي.

3. جعل المترجم قادراً على تجنب الوقوع في أخطاء كثيرة من قبيل الترجمة الحرفية للتركييب والصيغ والدلالات.

4. تذليل الصعوبات لدى متعلمي اللغات، وترجع هذه الصعوبات في المقام الأول إلى اختلاف اللغة الأم عن اللغة المتعلمة، فلو أراد أحد أن يتعلم العربية ولغته الأصلية الإنجليزية، فعليه أولاً أن يتعرف على مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف في اللغة العربية مقارنة بلغته الإنجليزية حتى يتمكن من تعلمها ببسر.

5. لا يهتم بهذه الفروق الفردية بل يهتم بالفروق الموضوعية؛ فهو يحدد الصعوبات الموضوعية التي تواجه المتعلمين، والصعوبات التي تقابل متعلم اللغة تختلف باختلاف اللغة التي يتعلمها، وتحديد هذه الصعوبات الموضوعية يتم عن طريق المقابلة بين اللغتين، فالهدف الأساسي من المنهج التقابلي في المقام الأول تعليمي، وهو تذليل هذه الصعوبات.